

غذاء في الحديقة بعد إفطار خفيف، أخذ محمد حمام الصباح ثم إرتدى ثيابه وبدأ إصدار تعليمات سريعة إلى أبو غصوب بينما كان يأخذ إناء الفطور ثم عرج على إخوانه اللاتي يسميهن "البنات" للإطمئنان عليهن، لأن ثلاثة منهن لم يزلن عازبات أما الأخت الكبرى فهي متزوجة منذ سنوات، طرابلس حيث بدأ ينتظم العمل الإداري والفني فيها وابتدأت المياه النظيفة الوصول إلى المنازل تدريجياً. ياسر، فارس محمود والآسة جانيت كانوا بانتظاره، تفقد العمل وتلقى بعض المراجعات ولما قاربت الساعة على الحادية عشر غادر إلى جامع التوبة فالיום هو الجمعة وهو سليل عائلة ملتزمة دينياً منذ زمن بعيد بعدما انتهى من الصلاة عاد إلى المنزل، حيث شقيقاته يهتمن بالطعام للمدعوة، ثم تفقد الحديقة حيث المائدة وتأكد من وجود الورود عليها ومن نافورة المياه التي تعمل في البركة الرخامية المثمنة الأضلاع في وسط الحديقة الغناء التي يعتني بها ثلاثة أشخاص بإشراف شقيقه مصطفى وقد صممت بإتقان ثم أصبحت تتكون من حدائق صغيرة مختلفة إحداها للورد الجوري والأخرى للقرنفل وواحدة للزنبق وهنالك رسومات تمثل الأزرة والسجادة وأشكال حيوانية كلها من الحشائش المقصوصة والأزهار، ويحف بكل ذلك أشجار الياسمين المنمنمة، منها الليمون والزيفون والصنوبر و"الجهنميات" ألوان بهيجة مختلفة مع الروائح العطرة التي تفوح في الجو وصوت المياه وزقزقة العصافير والبلابل المستمرة من الشروق حتى الغروب يؤلف كل ذلك إطاراً ساحراً يجعل المرء يخلد إلى الهدوء والرضا، ينظر إلى ساعة يده ويذهب متمهلاً إلى مدخل المنزل الرئيسي في الناحية الأخرى من البناء، وما هي إلا دقائق، حيث دلفت السيارة السوداء بصعوبة من البوابة ذات الأحجار القديمة الضيقة، إلى ساحة القصر المستديرة والمظلة بأشجار الفيكاس والمنغا، لتبلغ إلى الدرج الرخامي الأبيض العريض، حيث يفتح لها الباب خالد، ويستقبلها محمد ممسكاً . بيدها وهي تصعد السلم الكبير بغناج أنشوي وتفوح منها رائحة العطر الباريسي "شانيل" ويدخلا من الباب الشرقي الكبير، إلى صالة الاستقبال وأنوار الشمس الملونة تنعكس وتغطي الحائط المواجه للباب الرئيسي من النوافذ المحيطة به ذات الزجاج الملون بألوان قوس القزح، يقودها إلى الصالة الكبيرة في وسط المنزل، والفضة لآيات قرآنية وأشعار عربية قديمة وبعض الحكم. في وسط هذا البهو بركة رخامية بيضاء من نفس ألوان الأعمدة موشحة بخطوط سوداء فيخبرها بأنهم في المناسبات السعيدة تصبح النوافير كلها من "الليموناضة" (عصير يرتقال أو ليمون) للضيوف ويطفو على العصير أوراق من زهر الليمون إذا كان الموسم ربيعاً، ثم تنظر مادلين إلى السجاد الإيراني الذي يغطي الأرض كلها ويبهرها جمال التصميم الشرقي والهندسة بعد فترة يدعوها مضيفها إلى باب جانبي فيدخل إلى صالة أخرى ويقدم لها شقيقاته بأنهم السفيرات المميزات، ولما سألته سفيرات ماذا، قال لها إنهن سفيرات الملائكة على الأرض ثم تبادلوا السلام والقليل من الكلام لأنهن لا يجدن اللغة الفرنسية ثم يأخذها إلى ممر صغير وينحدرا في مسلم رخامي خلفي ضيق ليخرجا من باب آخر إلى الحديقة الشرقية ويستقر بهما المطاف جانب نافورة المياه الكبيرة الخارجية التي تحيط بها المائدة المستديرة يكسوها غطاء أصفر اللون مطرز بالذهب تطريز دمشقي جميل وعليها طبقين من الفضة، يدعوها للجلوس ويتخذ مقعداً مقابلها لها وهو يبتسم مرحباً، الطيبة إلى مضيفها قائلة: – هل تكبدت كل هذا العناء لأجلي و. المنزل؟ أوه كم أنت متواضع، هذا قصر متقن جدا ولو أتيح للكثير من شعبي لقاموا بزيارته سياحيا ولدفعوا حتى يشاهدوه. – إذا فلنبداً التحضير لتجارة مستقبلية معاً، عليك بالسياح، وأنا الدليل، ضحكنا وتابعت وإذا استطعنا أن نحضرهم في فصل الربيع يشاهدوا أيضاً ما يجب أن تسميه مهرجان الطبيعة في ربيع طرابلس العابق بروائح الزهور، فصلاً إنه لا ينسى، إني معجبة بعمق تعلقك بهذه الأرض. شرط أن ننسى قتالكم لنا أنتم هذه العائلة، إنها لقمة الحضارة أن نجلس معاً نتناقش في عقول ناضجة، ولكن يبدو أنك واثق من رحيلنا قريباً قالت على سبيل المداعبة . فأجابها مبتسماً ما را – إن شاء الله اليوم قبل الغد، وضع منها قليلاً وأخذ بيد السيدة مادلين التي كانت قد – بصراحة الذهب على الجدران، الزجاج الملون، الأبواب المنقوشة الرخام الجميل، ومائدة الطعام وآنية بالذهب والحديقة الجميلة التي تجلس في أحضانها معاً مع هذه الروائح المتنوعة من الياسمين والورد والنجس. كل هذا جميل جداً وكأنني بكم لكن على فكرة . هذا فيه الكثير من التناقض. فكيف تفسر لي بيت ديني يرث الإفتاء حتى تصل إلى شقيقك الذي يقوم معكم ببناء جدراننا نحن الفرنسيين الماديين أن نقوم به. يتعارض مع الإسلام . ؟ انظر إني لا أقصد إلا أن أكون صريحة وأفكر معك بصوت لعل في معلوماتي أخطاء وها أنذا أطلب تصويبها. وأخذ يفكر بمكر هذه الصديقة وهو يتأملها بهدوء وأجابها: – نعم سيدتي هناك وجهة حق فيما تقولينه . ولربما أخطأنا فيما فعلنا لكن نحن أيضاً ندعو إلى عدم الرهينة . والشكر يكون له أوجه عدة منها "أما بنعمة ربك فحدث"، كان بناء أربع منازل بسيطة بدل قصر كبير، ولكن عندما يستطيع المرء أن يبني هكذا بناء في موسم حرير واحد، معصوم، ثم هذا الذي تريته ضروري لطرابلس وضروري لما تعمل له. ففي الحياة المظاهر أحياناً تفيد التقدم في سلم الطموح وتنبيه عن داخل منتظم. وبدأ أبو غصوب وابنه يقدم الطعام ثم قالت له : كما تعلم بيا صديقي هناك حقيقة وللحقيقة أوجه

واحتمالات شتى . لربما وقعت عند احتمال ما أعتقد أنه الأصوب . وقد أناقش هذا مستقبلاً معك، إنني أتكلم من وجهة نظر الإسلام بالمقارنة مع رجال ملتزمين حتى لا أقول عن بعضهم متعصبين. على كل حال أود أن أسألك سؤال شخصي هل أستطيع؟ تفضلي أرجوك. فقالت: قل لي عن نظرتك إلى المال، لك مغامرات عدة، وابتسمت بمكر وتابعت . ولك شعبية واسعة والرجال هنا يخضعون لك بإعجاب وتقودهم إلى الموت فينساقوا بكل ترحاب، عائلتك حيال كل ذلك أين تقف في فلسفتك عن الموضوع هذا ! أجابها بسرعة خاطر قائلاً: المال قصته معي قصة مثل قصة ذلك الأعرابي الذي سئل لمن هذه العنزة فأجاب هي الله عندي سيدتي وجهة نظر ديننا كما أؤمن بها، إن كل ما تملك هو للمالك الواحد الخالق وهو وديعة مؤقتة عندنا سرعان ما تؤول إلى غيرنا، إذا هي مؤقتة، وأما السلطة فهي أيضاً في سبيل قضية مهمة من صميم الأسس التي تخص شرفنا وإحترامنا لأنفسنا من هنا ينساق الناس للموت لا لأجلي بل لما أمثل. فلو لم تكن نحن لكان غيرنا، وأما الشعبية فهي رأسمال لي، لن يبق غيره عندما أرحل فهو الأهم لأن من يحبه الله يحبه عباده، فهذا وسام إذا صح افتخر به لأنه من بوارد ما انتظره في الحياة الأخرى، والوسامة هبة من الله أيضاً وهي أيضاً مؤقتة . كما ترين معظم ما ذكرته لك مؤقت فهو بنظري غير مهم ومن هنا أنطلق من بيتي وعملي فقط نحو المهم الباقي . صدقيني إنني أنظر إلى كل الناس بنفس المفهوم فنحن أخوة مؤقتين نتقابل ونتعايش ونتعارف في فترة زمنية معينة هي عصرنا، ثم نرحل جميعاً . نحن هنا مؤقتين نحن هنا لزمنا الصمت لفترة وجيزة ثم نظرت حولها أكثر من مرة وأجابته: محمد. لو أتيح اللقاء لنا بغير هذه الظروف قد تحولني إلى الإسلام عن قناعة . لأنني أعجبت بفكرك ونظرتك إلى الحياة، أنت كوني النظرة، كبيرها ولست منغلقة صغيراً وصمتت. شارحاً لها عما تتكون وكيف تطبخ حتى وصلاً إلى الفاكهة وبينما هما يحتسيان القهوة قالت له كما تعلم سأغادر أسفة هذه المدينة الجميلة، التي ازداد حبي لها بتعرفي عليك صديقاً أثيراً استفدت منه كثيراً في نظرتي إلى أمور عديدة في الحياة أرجو أن تزورني في بيروت خاصة وأن العمل السياسي محتدم هناك، وعليك أن تقنع سماحة المفتي بالتردد عليها أكثر لأن هذا يساعدكم في تحقيق الكثير من الأهداف التي تسعون إليها أعطيتك رقم هاتفنا وسأكون وزوجي وأصدقائنا بانتظاركم لتداول بأمور الساعة، والانكليز كما علمت يحاولون النيل منا والضغط علينا بطرق شتى. فلا تظن دعم الحكومة المصرية أو العراقية لنضالكم كان ليتم بهذه القوة لولا تحريض ودفع الإنكليز لهما، أمور عديدة تحصل وعليكم مراقبتها باستمرار حتى تكونوا كما يجب في طليعة من يتولى الأمور الأساسية في البلاد على رغم حماسكم للوحدة مع سورية. أشعل محمد سيجاراً كوبياً ونفخ به قليلاً وأجابها: – يهمني شقيقي الكبير . سأقنعه بالتردد على بيروت أكثر ويخلع الثياب القديمة، هنا قطع حديثه صراخ من شرفة الطابق الثاني المطل على الحديقة، فعرف صوت شقيقه الكبير يعترض على دعوته امرأة إلى